



في ظلال العشر

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2024-06-10

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين..
وبعد أيها الإخوة الأحباب: فنحن في أيامٍ من أفضل أيام الدنيا وهي أيام العشر، إنها الأيام التي أقسم الله تعالى بها في كتابه فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)

(سورة الفجر)

فضل أيام العشر:

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، هي أيام العشر، بل إن أكثر المفسرين قالوا إنها أيام العشر من ذي الحجة، وقد جمع المفسرون بين عشرٍ هي العشر الأواخر من رمضان، وعشر ذي الحجة، فقالوا: أيام العشر هي الأفضل، أي أيام العشر من ذي الحجة، وليالي العشر الأخير من رمضان هي أفضل الليالي، فهذه الأيام هي أفضل الدنيا على الإطلاق، وفيها يوم عرفة التاسع من ذي الحجة وهو خير يوم طلعت عليه الشمس، وفيها يوم العاشر من ذي الحجة وهو يوم النحر، قال صلى الله عليه وسلم:

{ إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامٍ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَقَالَ أَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَدَنَاتٍ خَمْسٍ أَوْ سِتٍّ فَطُفِقَ يَزِيدُفَنَ إِلَيْهِ

بَأَيُّنَهُنَّ يَبْدَأُ فَلَمَّا وَجِبَتْ جَنُوبُهَا قَالَ فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ خَفِيَّةٍ لَمْ أَفْهَمْهَا فَسَأَلْتُ الَّذِي يَلِيهِ فَقَالَ قَالَ مِنْ شَاءَ فَلِيَقْطَعْ }

(أخرجه أبو داوود)

وبالتالي أُنْهَى الكرام فهذه فرصة عظيمة يسعى المؤمنون لاغتنامها، ويبدلون الجهد في سبيل مرضاة ربهم، فإن قلت لي ما هي الكلمة الجامعة لهذه الأيام؟ وما تعريفها؟ قلت لك: هي أيام الذِّكْرِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَتَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَتَذَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ تَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28)
(سورة الحج)

إنها أيام الذِّكْرِ، ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى، وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَيُّهَا الْكَرَامُ مَفْهُومُهُ وَاسِعٌ جَدًّا، الذِّكْرُ فِي الْأَصْلِ يَنْطَلِقُ مِنْ أَنْكَ تَذَكَّرَ شَيْئًا، عِنْدَكَ شَيْءٌ كَأَنَّكَ نَسِيتَهُ أَوْ عَفَلْتَ عَنْهُ فَيَجِبُ أَنْ تَذَكَّرَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنْسَى وَلَا يُغْفَلُ عَنْهُ، كَيْفَ وَأَنْتَ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِكَ مُفْتَقِرٌ إِلَى إِمْدَادِهِ، يَعْنِي مَنْ يَغْفَلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مِنْ يَحْقُ أَنْ يُسَمَّى غَافِلًا حَقِيقَةً، مَنْ يَغْفَلُ عَنِ اللَّهِ هُوَ الْغَافِلُ الْحَقِيقِيُّ، لِذَلِكَ "اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْغَافِلِينَ"

الغفلة: هي أن يغفل الإنسان عن ربه وكل ما سوى ذلك ليس بغفلة أمام تلك الغفلة العظيمة، فالإنسان في كل لحظة مُفْتَقِرٌ إِلَى رَبِّهِ، بِشُرْبَةِ مَاءٍ بِشْرِبِهَا، بِسِيلَانِ الدَّمِ فِي عُرُوقِهِ، بِإِخْرَاجِ شُرْبَةِ الْمَاءِ الَّتِي شَرِبَهَا، بِنَظَرِهِ فِي عَيْنَيْهِ، بِخَاصِيَةِ الدَّمِ فِي كَلْبَتَيْهِ، بِوِطَائِفِ الْكَبِدِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا الْكَبِدُ، فِي كُلِّ لِحْظَةٍ نَحْنُ مَعَ اللَّهِ، فَمَنْ يَغْفَلُ عَنِ خَالِقِهِ فَقَدْ عَفَلَ أَعْظَمَ عَفْلًا، فَالذِّكْرُ هُوَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَنْسَاهُ، فَارْجِعْ فَتَذَكَّرَهُ، هُوَ مَرْكُوبٌ فِي أَعْمَاقِ فَطْرَتِكَ، كَيْفَ إِذَا أَتَيْتَا بِحَجَرٍ صَغِيرٍ وَجِئْنَا إِلَى بَرَكَةِ مِيَاهِ رَاكِدَةٍ، وَالْقَيْنَا الْحَجْرَ فِيهَا، مِنْ بُورَةِ الدَّوَائِرِ وَاضِحَةً جَدًّا، ثُمَّ تَبَدَّلَ الدَّوَائِرُ تَكْتُرًا شَيْئًا فَشَيْئًا ثُمَّ تَتَلَاشَى، فَالذَّاكِرَةُ فِيهَا بُورَةُ الشُّعُورِ وَفِيهَا الْحَوَاشِي، الْبُورَةُ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَيْهَا، وَهُنَاكَ فِي الْحَوَاشِي أَشْيَاءٌ لَمْ تَعُدْ تَرَكُزْ عَلَيْهَا لَكِنَّا مَوْجُودَةٌ.

التذكُّر: هو أن تعيد هذه الأشياء التي في الحواشي إلى بؤرة اهتمامك، يعني مثل إنسان قرأ كتاب قبل سنوات وأصبح في حواشي الشعور يعني هو لا يذكره، جاء الامتحان والمادة المقررة هي هذا الكتاب الذي قرأه، فيبدأ بدراسته بمعنى أنه يستحضره ويتذكره، يعيده إلى بؤرة الشعور، فإذا نام وهو يقرأ الكتاب طوال الليل يحل المسائل التي في الكتاب، ويعيش معه لأنه أصبح في بؤرة شعوره، فكذلك ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى، الْإِنْسَانَ بِسَبَبِ الْحَيَاةِ وَمَا فِيهَا، يَصْبِحُ تَرْكِيزُهُ كَثِيرًا لِلْأَسْفِ عَلَى الدُّنْيَا، إِذَا أَمْضَى يَوْمَهُ وَهُوَ يَتَابِعُ أَسْعَارَ الْأَسْوَاقِ الْمَالِيَةِ الْعَالَمِيَّةِ، فِي اللَّيْلِ يَرَى أَحْلَامَ حَوْلَ أَسْعَارِ الدُّوَلَارِ، وَارْتِفَاعِ الْأَسْهَمِ وَانْخِفَاضِ الْأَسْهَمِ، وَإِذَا أَمْضَى نَهَارَهُ بِالسَّعْيِ حَوْلَ الشَّهَادَةِ الدَّرَاسِيَّةِ، أَيْضًا يَرَاهَا فِي اللَّيْلِ فَيَكُلُّ لِحْظَةً يَتَكَلَّمُ فِيهَا، فَيَنْتَقِلُ الْأَهْمُ إِلَى حَوَاشِي الشُّعُورِ، فَيَأْتِي ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى لِتُعِيدَ الْأَهْمُ إِلَى الْبُورَةِ وَالْإِهْتِمَامِ، لِذَلِكَ يَقُولُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)
(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُ مَا أَوْجِبَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)
(سورة العنكبوت)

الذِّكْرُ هُوَ الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي نَعُودُ فِيهَا إِلَى أَسْلِ فَطْرَتِنَا:

يَحْتُنَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، ذَكَرَ اللهُ شَيْءٌ مَرْكُوبٌ فِي أَعْمَاقِنَا، وَلَكِنَّا لِلْأَسْفِ بِغَفْلَةِ الْحَيَاةِ تَنَاسِيَهَا فَأَصْبَحَ بَعِيدًا عَنِ دَائِرَةِ شُعُورِنَا، فَتُعِيدُهُ، لِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ قَبْلَ النَّوْمِ أَنْ تَقْرَأَ الْآيَاتِينَ الْآخِرَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: {وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ}.

{ إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَعْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيَّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ. }

يعني بعد الآيتين لا كلام، حتى تنام وأنت مُستحضر لهاتين الآيتين، لأنَّ الإنسان يتابع في نومه ما أمسى عليه، فإذا كان آخر ما قاله: ما آخر أسعار العملات اليوم، فطوال ليله أسعار العملات، (واجعلهن آخر ما تقول).

أيضاً أيُّها الكرام: الذكر هو هذه العملية التي تعود فيها إلى أصل فطرتنا، نعود فيها إلى خالقنا، نعود فيها إلى الشيء الأهم الذي لا ينبغي أن نغفل عنه في حال، من هذه الزاوية يكون مفهوم الذكر واسعاً بأوسع مدى ممكن، فهذا المجلس هو مجلس ذكر، هناك مجلس دُنيا يجلس الناس يتداولون شؤون مباحات، وقد يكون والعباد بالله مُحَرَّمات، لكن هذا مجلس ذكر، نذكر فيه الله تعالى، نتذكر الله، نتذكر آياته، نتذكر آياته الكونية، وآياته القرآنية، نتذكر سُنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، هذا ذكر، التفكير في خلق السماوات والأرض أيضاً ذكر، يعني إذا الإنسان نظر إلى هذه الشجرة وهذه الورود وهذه الزهور، فقال سبحان الخالق هذا ذكر، القرآن ذكر، إذا قرأت القرآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44)

(سورة الزخرف)

أعظم الأذكار في العشر كلمتا الاستجابة والتعظيم:

القرآن ذكر، وذكر اللسان، سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، لا إله إلا الله، أيضاً من الذكر، فالذكر بهذا المعنى مفهومه واسع، بمعنى أنَّ كل شيء يُذكرك بالله تعالى فهو ذكر. ومن أعظم الأذكار التي تكون في هذا العشر كلمتان، الأولى أُسْمِيهَا كلمة الاستجابة، والثانية كلمة التعظيم، الخُجَّاج في الديار المقدسة يقولون: **ليتك اللهم ليك وهذه كلمة الاستجابة**، ونحن في ديارنا نتجاوب معهم فنقول: **الله أكبر، الله أكبر، وهي كلمة التعظيم**، والجامع بين الكلمتين أنَّ إحداهما سببٌ للأخرى، وأنَّ الثانية نتيجة حتميةٌ للأولى، فالتعظيم يؤدي إلى الاستجابة، فانت لن تقول ليك اللهم ليك حقاً، إلا إذا قلت لله أكبر حقاً، ما معنى أن يُلْتَمَى الإنسان؟ ليك يعني استجيب لك يا رب، كأن الله تعالى يقول تعال يا عبدي، تعال لأريحك من هموم الدنيا، ليك اللهم ليك، تعال لأمسح عنك تعب الأيام، ليك اللهم ليك، تعال لأنقلك من عالم المادة إلى عالم الروح، ليك اللهم ليك، تعال لأنقلك من بيتك المُكيف إلى المشاعر التي في بعضها لا يوجد تكيف، ازدحام شديد وحرارة مرتفعة وجبال سوداء، لكن أنس بالله، تعال ليك اللهم ليك، فهذه هي الاستجابة، وامتحان الحج كله هو امتحان استجابة، منذ أن دعا إبراهيم عليه السلام ابنه ليذبحه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَّمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

(سورة الصافات)

ومنذ أن دعا إبراهيم عليه السلام لئسكن من ذريته بوادٍ غير ذي زرع، فقال ليك يا رب، وأخذها وابنها ووضعها وعاد، ومنذ أن أمره برفع القواعد من البيت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)

(سورة البقرة)

فكل الحج هو امتحان الاستجابة لله تعالى من عهد إبراهيم عليه السلام، مفاده أن يا عبدي تعال استجب لي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

فجوهر الحج وجوه لبيك اللهم لبيك، أنه مادام الله تعالى هو الأمر فهو الحافظ والصامن، الأمر ضامن يضمن لك، الذي أمرك بغض البصر يضمن لك النتائج، والذي أمرك بطاعته يضمن لك جنته، والذي أمرك بتحرّي الرزق الحلال، يضمن لك رزقك ورزق أولادك بالحلال، الأمر ضامن، ففي كل موقف نحن مُعَرَّضُونَ لامتحان الاستجابة، جاءك مبلغ فرصت أخذه لأنه من حرام، الله أمرك أن لا تأخذه؟ نعم، إذا لا يضيعك، المُعَلِّم في صفه الله أمرك أن تُعَلِّم، تُرَبِّي، تبذل كل جهدك؟ قل نعم، الله لا يضيعك، المرأة الله أمرك أن تعففي، أن تلتزمي أمر الله تعالى في بيتك، في أولادك، في التبعيل لزوجك؟ قل نعم، الله لا يضيعك، الطبيب في عبادته الله أمرك أن لا تبتز المرضى؟ أن لا تطلب منهم أشياء لا يحتاجونها من أجل ينسب تتعامل بها مع غيرك؟ قل نعم الله لا يضيعك، المحامي الله أمرك أن لا توهّم المُراجِع بأن القضية رابحة وأنت تعلم يقيناً أنها خاسرة، لكنك توهّمه بريها، حتى تبتز أمواله خلال فترة مُعَيَّنة؟ قل نعم إذا لا يضيعك.

فامتحان الاستجابة يعني أنّ الله تعالى الذي أمر بحفظ وضمن، مادام الله تعالى هو الأمر فإنه الحافظ والصامن، أنت في دنيا البشر، إذا قال لك إنسان إفعل كذا وفعلت وصارت مشكلة، ترجع إليه فتقول له: خلصني من هذه المشكلة، أنت قلت لي افعل كذا، فالمفهوم العقلي عند البشر أنّ الأمر ضامن، والله تعالى هو أعظم من أمر جلّ جلاله، ومن ملك هو مالك المُلك، فعندما يأمرنا بأمر فالنتائج مضمونة إن شاء الله، لا يوجد إنسان يُطيع الله ويخسر، كما أنه لا يوجد إنسان يعصي الله ويربح، لا والله، ولو توهّم ذلك، ولو بدا ذلك، يبدو ذلك حيناً من الزمن أنه عصي الله ويربح، فتقول والله أمواله كلها حرام ولم يحدث شيء! هذه الأموال سوف تحرقه، هذا على الشبكية نجا، ولكن في الحقيقة عقوبته شديدة عند الله في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَمْحُو اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ كَلَّ كَفَّارٍ أَتِيمٍ (276)

(سورة البقرة)

يستحيل أن تعصيه وتربح، وأن تُطيعه وتخسر:

قانون، يقول لك: مُرابي لكن أموره جيدة، مستحيل، يعصي ربنا ويربح ولو بدا لك ذلك حيناً من الزمن، لماذا يبدو لنا حيناً من الزمن أنّ العاصي قد يربح وأنّ الطائع قد يخسر؟ لأنه حقّ الاختيار، لأنه إذا كان الأمر واضح جداً، بأنّ العاصي يخسر فوراً والطائع يربح فوراً.

مثال: لو أنّ إنساناً قال: لا أريد هذا المبلغ من الحرام فنزل من السماء فوراً عشر أضعافه، فكل الناس سيقولون لا نريد هذا المبلغ من حرام، ولو أنّ شخصاً أخذ مبلغ من ربا وفي اليوم الثاني احترق معمله كله، دائماً يعني قانون، لا أحد سيأخذ المال الحرام، لكن أين الاختيار؟ كيف تكون الجنة والنار؟ لذلك ربنا جلّ جلاله يترك العاصي ليتمتع حيناً، ويترك الطائع أحياناً ليتعب بطاعته حيناً من الزمن ولا يرى نتائجها، لكن بالنتيجة يستحيل أن تعصيه وتربح، أو أن تُطيعه وتخسر، ملك المُلك أمر بأمرٍ يُعَدُّب من أطاعه أو يُعَمِّم من عصاه؟ حاشاه جلّ جلاله.

فالكلمة الأولى هي كلمة الاستجابة لبيك يا رب، الكلمة التي سنتجاوب نحن معها في بلادنا الذين لم يُكتب لهم الحج، يقولون الله أكبر، من أول أيام العشر، ومن صباح يوم عرفة يزيدون ذلك فيجعلونه مُقَنَّاً بعد كل صلاة، إلى آخر أيام التشريق، فهي أيام ذكر، نقول الله أكبر، لأنّ الاستجابة لله تحتاج إلى تعظيم لله، فالإنسان يُلَبِّي من يُعظمه، لماذا عندما يقول لك والدك يا بُني، تقول له سمعاً وطاعةً يا أبت؟ لأنه عظيمٌ عندك، ولو لم يعظم في عينك، لما قلت له لبيك يا أبت، ولماذا يقول لك ملك من ملوك الأرض يا فلان فتقول له لبيك يا سيدي؟ لأنه عظيمٌ عندك، عظيمٌ وتُحِبُّه، يعني يوجد عظمةً مع حُب، أحياناً ابنك الصغير يقول لك يا أبت فتقول له أمرك، هو صغير جداً لكن أنت تحبه كثيراً فتستجيب له، ولو لم يكن عظيماً في نظرك، لكن عندما يجتمع التعظيم مع المحبة أعظمه وأحبّه فاستجيب له.

فكلمة الله أكبر هي كلمة التعظيم، وأكبر هو اسم تفضيل، يعني أكبر من، لكن ألصقت ولم تُقَيِّد بشيء، لا نقول الله أكبر من أنفسنا، ولا من أزواجنا، ولا من أولادنا، ولا من أعمالنا، ولا من شهواتنا، وإنما نقول الله أكبر ونفخ، ليكون المُطلق على إطلاقه فهو أكبر من كل شيء يخطر في بالك، فيسمعها العامل في عمله الله أكبر فيقول: الله أكبر من العمل الذي بين يدي، وما سيأتي من ربح في هذه الدقائق، لست بحاجة له وإنما أنا بحاجة إلى أن أقف بين يدي الله فأصلي، ويسمعها الطالب وهو منهمك في دراسته فيقول الله أكبر من صفحات أقرأها، وتسمعها الأم وهي تجلس في لهو مُباح فتقول: الله أكبر من هذا اللهو، فكل إنسان يسمع الله أكبر فيستجيب، لأنّ الله أكبر مما هو منشغل به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (14)

(سورة التغابن)

الله أكبر هي كلمة التعظيم فالله أكبر من كل شيء:

الله أكبر من أن أرضي زوجتي في معصية الله، والله أكبر من أن أجامل أولادي في معصية الله، الله أكبر من أولادي لأرؤدهم في معصية، التكبير هو حالة التعظيم المُطلق للخالق جلّ جلاله، الله أكبر من كل شيء، ومن قال الله أكبر بلسانه ثم أطاع المخلوق في معصية الخالق، فما قال الله أكبر ولا مرة ولو رُدَّها بلسانه ألف مرة، يعني التردد باللسان أسهل شيء، وثياب عليه الإنسان على كل حال، والحمد لله، لأنه ذكر للخالق، لكن ما مردوده العملي؟ مردوده العملي أن لا أطيع مخلوقاً في معصية الخالق، قاصداً، عامداً، يعني أنا أعلم ثم أطيع مخلوقاً وأعصي الله، أطيع شركي وأعصي الخالق، يقول لك: لا أريد أن أفصّل الشركة معه، وهو له مبدأ مُعَيَّن فجاملته حتى لا أخسره، وتخسر خالقتك وعلاقتك الطيبة به!

الله أكبر هي كلمة التعظيم، فعندما نقول الله أكبر فلا يمكن بعدها أن أنغمس بعملتي وأنسى صلاتي، ولا يمكن أن أنغمس في شهواتي ومشاغلي وأنسى ذكر ربي، لأن الله أكبر، أكبر من كل شيء.

فالتكبير هو ما جعله الله تعالى ذكراً لمن لم يُكتب لهم الحج إلى الديار المقدسة، معناه كلمتان، التعظيم من جهة والاستجابة من جهة ثانية، ثم يأتي يوم العيد وتُصَلِّي العيد افتتاحاً بهذه الطاعة، فكل أعياد المسلمين تبدأ بالطاعات، فنقرأ في صلاة العيد كما سنّ المصطفى صلى الله عليه وسلم، سورتي الأعلى والعاشية، أو نقرأ سورة في الركعتين، ونطرت في السور الثلاث فوجدت أنّ بينها جامعاً مشتركاً وهو أنه فيها كلمة فذكر، ففي سورة الأعلى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَذَكِّرْ إِن تَقَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْتَشَى (10) وَتَجَنَّبْهَا الْأَسْفَى (11)

(سورة الأعلى)

وفي الغاشية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (22)

(سورة الغاشية)

وفي ق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْعُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَيَعْبُدُ (45)

(سورة ق)

فالسور الثلاثة بجمعها كلمة الذِّكْر، بمعنى أن العيد هو ذكرى للعافلين ولا ينبغي أن يكون غفلةً للذاكرين، فكم من إنسان يُطيع الله في العشر أو يطيع الله في رمضان، ثم يأتي العيد وكأنه مناسبة خارج نطاق التدريب، يعني الأعمال التي كانت مُحَرَّمَة أصححت حلالاً في هذه الأيام، فهذا لم يفقه حقيقة العيد وحقيقة الذِّكْر، فذكر الله مستمر طيلة أيام العيد.

أهمية العمل الصالح في أيام العشر:

أيها الإخوة الأحباب النبي صلى الله عليه وسلم كما تعلمون يقول:

{ ما من أيامٍ العملُ الصَّالِحُ فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهادُ في سبيلِ الله؟ فقال رسولُ الله صلَّى

الله عليه وسلَّم: ولا الجهادُ في سبيلِ الله إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيءٍ }

(أخرجه البخاري)

يعني أيام العشر، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم العمل الصالح في هذه الأيام أحبَّ شيءٍ إليه، فينبغي للمؤمن أن يُكثر من الأعمال الصالحة في هذه الأيام، منها صيام هذه الأيام استحباباً، وصيام التاسع سُنةً مؤكدةً يُكفِّر سنتين الماضية والباقية، ويأتي يوم عرفة في هذا العام يوم السبت ويُشَوِّش البعض بأنه لا يجوز صيام السبت، والصحيح أنه يجوز صيام السبت، فالتبى صلى الله عليه وسلم يقول:

{ لا تصوموا يومَ السبتِ إلا فيما افترضَ عليكم }

(شرح مسلم لابن عثيمين)

وقد بين كثير من أهل العلم أنّ في الحديث ضعفاً، وعلى فرض صحة من صحّحه، فجمهور الفقهاء بل جميع الفقهاء قالوا: إن المقصود أن لا يُصام السبت لأنه يوم السبت، فإذا وافق صوماً كان يصومه أو عادةً قد اعتادها فلا كراهة في الصوم ولو أفردته، أي ولو لم يصوم الجمعة معه، ولو أفردته لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ لا تصوموا يوم الجمعة، إلا وقبله يوم، أو بعده يوم }

(الألباني صحيح الجامع)

والذي بعده هو يوم السبت، ويقول:

{ أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَتَأَمُّ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَتَأَمُّ سُدُسَهُ. }

(صحيح البخاري)

وبالتالي سيكون دائماً يصوم يوم السبت ومُنفرداً.

فالحديث على تصحيح من صحّحه، المعنى به أن لا يُصام يوم السبت تعظيماً له مخالفةً لليهود، أمّا أن يُصام لأنه وافق يوم عرفة أو يوم عاشوراء، أو ثلاثة أيام من كل شهر، أو أنه يصوم يوماً ويُفطر يوماً، أو نحو ذلك، هذا لا كراهة فيه بلا خلاف، ولا أعلم في ذلك خلافاً سابقاً حتى عند المعاصرين، مثلاً ابن تيمية رحمه الله كان يقول: "أنه أجمع السلف أن يُصام يوم السبت إذا وافق عادةً يصومها" وغير ذلك، فصوم يوم عرفة يُكفر سنتين سنةً ماضيةً وسنةً باقيةً.

النحر شعيرة من شعائر الإسلام وهو من أعظم ما يتقرب به إلى الله:

ومن أعظم الأعمال في هذه الأيام التقرب إلى الله بالأضحية يوم النحر، وأيام التشريق كلها أيام ذبح، يعني أيام العيد الأربعة كلها أيام ذبح، حتى عصر اليوم الرابع من العيد، ويُسن لمن أراد أن يُضحّي أن يترك الأخذ من شعره وأظفاره من مطلع ذي الحجة، ولو فعل فأخذ، فاصحته صحيحة عند جمهور الفقهاء، فهي سنةٌ مُستحبةٌ وليست واجبة، والأصل ما يُتقرب إلى الله تعالى في يوم النحر الذبح، فلا يقول قائل اللحم أرخص فسأوزع لحم، أو أعطي المبلغ إلى أسرة، فهذه شعيرة هذا وقتها، العام كله لك أن تصدق بما شئت، سمح الله لك كل السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، تصدق بما شئت، لكن في هذا اليوم، هو يوم النحر، هذه شعيرة من شعائر الإسلام، ليست في القضية اعتباطية أو اختيارية، هذه شعيرة من شعائر الإسلام، وما تقرب إلى الله في هذا اليوم بأحب إليه من الذبح، تنفيذاً لسنةً أبينا إبراهيم عليه السلام وتذكراً لهذه النعمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَبِيرٌ ۖ فَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۚ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَائِنِ
وَالْمُعْتَرِّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36)

(سورة الحج)

ويُستحب من خلال هذه الآية وما فهمه الفقهاء، أن يأكل الإنسان منها وأن يُهدي منها وأن يتصدق منها، أن يأكل ثلثاً، ويُهدي ثلثاً ويتصدق ثلثاً، ومن فعل غير ذلك فهو صحيح، سواءً أكلها كلها، أو تصدق بها كلها فلا شيء فيه، يعني هذا من الاستحباب.

فهذه الأيام أيام ذكر، أيام خير، أيام أعمال صالحة، وأفضل الأعمال الصالحة في هذه الأيام ما كان فيه نفعٌ مُتعدٍ للغير، يعني الصيام جيد جداً، والصلاة في أوقاتها، وأداء الفرائض طبعاً هذا أهم شيء، لكن بعد ذلك الأعمال الصالحة التي يكون فيها نفعٌ مُتعدٍ، فهي أفضل من النفع القاصر، يعني الصدقة، الإحسان، الكلمة الطيبة، مساعدة الناس، إغاثة الملهوف، إمداد إن كنت في غرة أو في غيرها بما يحتاجونه من مال، من طعام، الأعمال الصالحة التي يتعدى نفعها، يعني الإنسان يربح على الله في هذه الأيام، خلقنا لنربح عليه لا ليربح علينا، فجعل لنا مواسم خيرات يُصاعف بها الحسنات.

نسأل الله أن يُلهمنا الأعمال الطيبة الصالحة في هذه الأيام.

اللهم فرِّج عن إخواننا في غرة، اللهم اجعل لهم من كل صبيح فرجاً، ومن كل همٍّ مخرجاً، اللهم ارحم شهدائهم، واشفي جرحاهم، وأطعم جوعاهم، وأكس عريانهم، وآو مريضهم، وارحم مُصابهم، واجعل لنا في كل ذلك عملاً مُتقبلاً يا أرحم الراحمين.

اللهم مُجري السحاب، مُنزل الكتاب، هازم الأحزاب، سريع الحساب، اهزم الصهاينة المعتدين ومن والاهم، ومن أيدهم، ومن وقف معهم.

اللهم يا أرحم الراحمين كن لنا ولأهلنا عوناً ومُعِيناً، وحافظاً ومؤيداً ونصيراً.

اللهم أطعم من أطعمنا، واسق من سقانا، وأكرم من أكرمنا.

اللهم بارك أهل هذه الديار، اللهم اجعل ديارهم مباركةً عامرةً بالخير والذكر والبر والإيمان، وضيءً علينا رحمتك وبركاتك وصلواتك علينا صيباً صيباً، ولا تجعل عيشنا كدّاً كدّاً، وتقيل ميتاً الطاعات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.